مشروعيَّةُ الجهادِ فِي سبيلِ اللهِ

ظلَّ الرسولُ ﷺ والمسلمون في العهد المكِّيِّ ثلاثةَ عشرَ عامًا صابرينَ لا يعتدُونَ ولا يقابلونَ حربَ المشركينَ لهُم بحرب، بلْ كانوا يستجيبونَ لأمر الله تعالَى ولرسوله عليه الصلاةُ والسلامُ في قول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١).

ولطالَمَا شكَا المسلمونَ للرسول ﷺ ما يلاقونَه من أعدائِهم، فيُجيبُهم قائلاً:

- «اصبروا؛ فإنِّي لم أومَرْ بقتال».

وظلَّ الحالُ علَى ذلكَ حتَّى تمَّت الهجرةُ من مكةَ إلى المدينة، وأصبحَ المسلمونَ في مَنَعة وقوة فأذنَ اللهُ تعالَى لهُم بالجهاد في أوائل السنة الثانية للهجرة، ولم يُشرعْ في السنة الأولَى للهجرة؛ لأن المسلمينَ كانُوا يقومونَ بتكوين دولتهم الجديدة، وتنظيم أحوالهم، وبناء المسجد النبويِّ، والمؤاخاة، وما كانَ في السنة الأولَى إلا بعضُ

(١) سورة النحل: ١٢٧.

سرايَا كانَ الهدفُ منها إرغامَ المشركينَ على التفكير في تغيير سياستهم ونظرتهم تجاهَ المسلمينَ؛ حيثُ كانُوا يستضعفونَ المسلمينَ، فكانتْ هذه السرايَا وما فيهَا من دلالة القوة تدعُو بلسان الحال إلَى إفساح الطريق أمامَ الدعوة الإسلامية لتأخذَ طريقَها إلى قلوب الناس وكانَ أولَ ما نزلَ من القرآن في مشروعيَّة الجهاد - علَى أرجح الآراء -قولُ الله تعالَى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1].

قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[2].

ثمَّ كانَ الطورُ الثاني، حيثُ حالفتْ بعضُ القبائل قريشاً بعدَ

(١) سورة الحج ٣٩: ٤١.
(٢) البقرة: ١٩٠.

الهجرة وحاولُوا مهاجمةَ المدينة، بلْ إنَّ البعضَ هاجمَها بالفعل كمَا صنعَ كُرْزُ بن جابر الفهْريّ الذي أغارَ على سرحِ المدينة فخرجَ إليه المسلمونَ في غزوة بدر الأولَى فلمْ يدركُوه، ومنهُمْ من تحرَّشَ بالمسلمينَ فبادرَ الرسولُ ﷺ بالردِّ عليهم، وكانَ يرسلُ السَّرايَا لعقابهم، وكانَ لردِّه عليهم أكبر الأثر في اطِّلاعهم علَى الإسلامِ وتعرُّفهم سماحتَهُ فدخلَ الكثيرُ منهُم الإسلام.

ثمَّ كانَ طورٌ آخرُ، حيثُ تمالأ المشركونَ في مكةَ وخارجها علَى المسلمينَ، فكانَ الأمرُ الإلهيُّ في القرآن الكريم: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً**﴾ (١).

ثمَّ إنْ الرسولَ ﷺ لَمَّا كانَ قدْ عاهدَ اليهودَ وأمَّنَهم علَى أنفسهم وأموالهم، ولكنَّهم نقضُوا العهدَ وانضمُّوا إلى المشركينَ، بلْ حرَّضُوهم علَى القتال كمَا في غزوة أحُد. لَمَّا حدثَ منهُم ذلكَ أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بقتالهم: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ (٢).

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) الأنفال: ٥٨.

ثمَّ لَمَّا تَمَّ فتحَ مكةَ وراسلَ الرسولُ ﷺ الملوكَ والأمراءَ وأصبحتْ دعوةُ الإسلام معروفةً، وتحفَّزَتْ الرومُ لغزو بلاد المسلمينَ، عندئذ جمعَ الرسولُ ﷺ الجمُوعَ وخرجَ إليهم فلمْ يجدْ أحداً، ولكنَّه أراهُمْ قوةَ الإسلام، ومنذُ ذلكَ الحين انتقلَ الجهادُ إلى خارج الجزيرة العربية، وحدثتْ وقائعُ كبيرةٌ بعدَ أنْ لحقَ الرسولُ ﷺ بالرفيق الأعلَى وتمَّت الفتوحاتُ الإسلاميةُ الكبيرةُ بفضل الله ونصرهِ وتأييده للمسلمينَ.